

من هي الجريدة الأولى في العراق تاريخيا ؟

يرى بعض المؤرخين العرب وعلى رأسهم رزوق عيسى رئيس تحرير مجلة (المؤرخ (العراقي إن البداية الفعلية للصحافة العربية كانت في العراق سنة (1816م (بصدور صحيفة (جورنال العراق) التي أنشأها الوالي داود باشا وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية⁽²²⁾، وكانت تطبع في مطبعة حجرية باللغتين العربية والتركية، وكانت تنشر أنباء العراق وأخبار السلطة العثمانية ووقائع القبائل وقوانين البلاد وأوامر الوالي وشؤون الموظفين وأخبار الخارجية وكانت توزع على قواد الجيش وكبار المدينة وأشرف بغداد وتعلق على جدران دار الإمارة نسخ منها ليطلع عليها الجمهور، مع أن هذه الصحيفة لم يعثر على نسخة منها إلا أن بعض الرحالين الإفرنج أشاروا إليها في كتبهم.⁽²³⁾

ونسبت هذه المعلومات إلى بعض الرحالة الأجانب الذين مروا بالعراق، ذكروا ذلك في كتبهم لكن لم يحددوا اسما دقيقا يمكن الرجوع إليه، كما لم يثبت لدى من اهتم بالأمر وجود مثل هذه الجريدة، بالإضافة إلى أن بقية الأدلة تنفي صدورها وهي:

1 - عدم وجود مطبعة في العراق آنذاك، فالجريدة كما هو معلوم لا بد من مطبعة لطبعها، ورغم أن خيال البعض قد ذهب إلى أن الوالي أو إدارته قد قاموا بطبع الجريدة خارج العراق ووضعوا اسم العراق عليها إلا أن الزعم ضعيف.

2 - لم يذكر أحد من المؤرخين ممن عاصروا داود باشا وجود الجريدة في عهده.

3 - لم يعثر أحد على نسخة من هذه الجريدة لكي يمكن التعويل عليها في إثبات وجودها.⁽²⁴⁾

إن أهمية إثبات وجود الجريدة في تلك الفترة المبكرة، تعني أن العراق سبق معظم الأقطار العربية في إصدار الصحف، وهذا قد يفسر إصرار البعض على وجود هذه الجريدة بالرغم من هذا الأمر، كذلك لم يشتر هؤلاء المؤرخون إلى حقيقة وجود صحيفة عبرية قديمة اسمها (حمجيد) أي الواعظ صدرت في عام (1863م) ويشير مصدر آخر إلى أن صحيفة

عبرية أخرى اسمها هادوبر (Ha-Dober) صدرت في بغداد ما بين عامي (1868م و1870م) باللغتين العربية والعبرية.⁽²⁵⁾

إلا أن الدكتور فتحي حسين عامر ذكر في كتابه تاريخ الصحافة العربية غير هذا الرأي وأكد أن أول جريدة في العراق والتي عرفت باسم (جورنال العراق) صدرت عام (1816م)، ثم صدرت بعدها صحيفة الزوراء عام (1869م)، وبعد ذلك تبعتها عدة صحف منها جريدة الموصل، والبصرة، وبغداد، والرقيب.⁽²⁶⁾

كما ذكر زروق عيسى في مجلة (النجم) الموصلية في عددها السابع، مشيراً فيها إلى صدور أول صحيفة في بغداد كانت تعرف باسم (جورنال العراق) والتي أنشأها (داود باشا) عندما تسلم منصب الولاية عام (1816م) وكانت تطبع بمطبعة حجرية، إلا أنه لا يجزم صحة ما يقال كونه لم يذكر حتى في كتب الرحالة الأجانب، لأنه لم يعثر على أية نسخة من تلك الصحيفة، ويراد من لفظة (جورنال) سجل العراق الرسمي (كالسالنامة) وليس جريدة بالمعنى المعروف اليوم، كما المعروف أن المطابع الحجرية لم تدخل إلى العراق إلا في عام 1856م.⁽²⁷⁾

وعلى أية حال اعتبرت (الزوراء) أول جريدة صدرت في العراق في (5) ربيع الأول 1286 هجرية أي في 15 حزيران 1869م) والبعض الآخر قال إنه يصادف 16 حزيران، ولكن يوم 15 حزيران هو الذي اعتمد يوم تأسيس الصحافة في العراق ومن ثم يحتفل به عيداً للصحافة.⁽²⁸⁾

فلهذا يبقى الفضل الأول والدور الكبير في إنشاء أول جريدة رسمية في العراق يعود للمتقف مدحت باشا الذي حرص على إصدار جريدة الزوراء عام (1869م)، ومؤسس أول مطبعة بالحروف في بغداد، وقد ظلت الجريدة الرسمية لولاية بغداد إلى يوم احتل الجيش البريطاني بلد الرشيد سنة (1917م) خلال الحرب العالمية الأولى⁽²⁹⁾، حيث كانت متخصصة لنشر آرائه الإصلاحية و(الفومات السلطانية).⁽³⁰⁾

أما الذين حرروا قسمها العربي فمعارفهم متباينة جداً لأن عبارتها بلغت تارة مناط العيوب في الفصاحة والبلاغة وطورا انحطت إلى الحضيض في الركافة والسخافة، وهذا جلي دليل على تباين طبقات محرريها في صناعة الإنشاء، لما كانت القيود القديمة لهذه الجريدة قد احترقت فلم نعثر إلا على أسماء الذين تولوا إدارتها وكتابة فصولها من سنة 1877م، وهم حسن أزوم

(من 1294 هـ إلى 1299 هـ) وزهير أفندي (من 1299 هـ إلى 1313 هـ)
وإسماعيل أفندي (من 1313 هـ إلى 1317 هـ) وأحمد فهمي (من 1317 هـ
إلى 1319 هـ) وفهمي أفندي (من 1319 هـ إلى 1321 هـ) وعباس حمدي
(من 1321 هـ إلى 1323 هـ) وفهمي أفندي (من 1323 هـ إلى 1326 هـ)
وعبد الوهاب أفندي (1326 هـ⁽³¹⁾)، وبلغ مجموعة ما صدر من جريدة
الزوراء (4049) عددا.⁽³²⁾

بعدها بخمسة عشر عاما ظهرت جريدة (الموصل) سنة (1885م) وتنتشر
مرة في الأسبوع باللغتين التركية والعربية وأحيانا بالتركية وحدها، وتطبع
في مطبعة ولاية الموصل التي أسست سنة 1875م، وهناك من يؤرخ
صدور جريدة الموصل بعام 1879 كون لم تكن مطبعة (الولاية) أول
مطبعة في تلك الفترة، كما هو الحال في مطبعة (الولاية) البغدادية فقد أسس
مبعث الآباء الدومينكيين من الأجانب المرسلين مطبعتهم في أم الربيعين
سنة (1860م) وأسست المطبعة (الكلدانية) سنة (1863م)، وأقامها الكلدان
وهم من الأهلين المواطنين النصاري ينتمون إلى الكنيسة الكلدانية في
السواد، بمعنى أن هاتين المطبعتين سبقتا مطبعة مدحت باشا في بغداد، ولم
تعد مطبعة الكلدان ومطبعة الدومنيكان قد عاشت أكثر من خمسين سنة،
وطبعت كتب ورسائل كثيرة باللغات العربية والآرامية والتركية والفرنسية
واللاتينية منها المدرسية ومنها الدينية، ولقد كان تاريخ جريدة الموصل في
العهد العثماني غير واضح لكونها اقتصر على نشر القوانين والأنظمة
والبيانات وأوامر الحكومة وإعلاناتها فعاشت حتى الاحتلال البريطاني
للموصل سنة 1918م.⁽³³⁾